البخاري

المبخراتي: مجموعة قصصية
الكاتب: مصطفى رشوان
تدقيق لغوي وإخراج فني: الباشا عبدالباسط
رقم الإيداع: 19304 / 2019
الترقيم الدولي: 1 - 062 - 844 - 977 - 978

دار الزيات للنشر والتوزيع :**Facebook Page**
E- mail: bentelzayat1@gmail.com
Website: www.bentelzayat.tk

مجلس الإدارة / د. شاهندة الزيات
المدير العام/ أ. محمود محروس إبراهيم
01066736765 - 01011122429

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©
لدار الزيات المشهرة قانونًا بسجلّ تجاريّ رقم / 49351

المبخراتي

"اليوم عرفت ذنبك الحقيقي وعقابك الأمثل

أن تظل طيلة حياتك

مجرد (مبخراتي)"

الكاتب

مصطفى رشوان

دار الأيام للنشر والتوزيع

صدق حلمك بتحقق

إهداء

إلى أستاذتي/ منال سناء
فلولا تشجيعك ما رأت حروفي النور.

المايسترو

(معزوفة إيليا الأخيرة)

يحدث نفسه: نعم هذا الاسم الأنسب.

بعدما انتهى من كتابة آخر العلامات الموسيقية

يقوم بتوزيعها على العازفين ويبدأ الحديث قائلًا:

المقطوعة التي أمامكم تمثل لي النهاية، نهاية رحلتي ك (مايسترو) واليوم سنقوم ببروفة چينرال على أن تعرض يوم الاحتفال السنوي ل(أوبرا مانهاتن).

يقوم العازفون بتجهيز النوتات الخاصة بالمعزوفة وتتوين الالآت، ينظر إليهم بعينين هادئتين ليعطي لهم إشارة البدء.

أصبحوا على استعداد، يرفع يديه بطريقة دائرية لتمتزج أصوات الالآت، ويبدأ، وتبدأ الحكاية...

أنا إيليا ابن الستين عامًا من الحياة والحزن والألم، المعاناة والحب والفراق والنجاح والمتعة.

ولدت بإعاقة في سمعي وأكد الأطباء لوالدي أنني مصابٌ بقصور في سمعي لأعيش بقية حياتي مرتديًا سماعات تقوية.

كان هذا له أثر في حياة أبي حيث أصابه الحزن على ابنه الوحيد بعد سنين من عدم الإنجاب، وأيضًا لفقرنا الشديد حينها.

مات أبي في الثالثة من عمري بسبب حريق في مكان عمله، لم يكتمل وعيي حينها ولا أتذكر ملامحه جيدًا.

أصبحت أمي وقتها هي الأب والأم وما أصعب أن تقوم امرأة في مثل سنها بالعمل ليلًا نهارًا لتوفير كافة المصاريف الخاصة بنا!

"تأخذ الموسيقا رتمًا هادئًا، حزينًا.

البداية: دائمًا تحمل الحزن حتى لو أظهرت لك الفرحة؛ فهي تحمل في داخلها غير ذلك"

تمر الأيام وأكبر، أسمع فقط الموسيقا بوضوح من الناس والشجر والطرقات والبحر، القمر أسمعها في كل شيء، ظننت أن هذا طبيعي وأن كل الناس تسمع ما أسمع.

فارقتني أمي وزاد هذا من لوعة قلبي، ألحقوني بدار أيتام؛ حتى يتسنى لي إكمال دراستي، وفي الدار عشت أصعب أيام حياتي، كان

الأطفال في مثل سني يعايروننني بسبب ضعف سمعي، يتعاملون معي كأني نكرة، هذا لم يؤثر عليَّ فقط؛ كنت أسمع تنمرهم موسيقا، كلما كان يقابلني حزن ما يتحول إلى نغمات أشبع بها روحي، التزمت في دراستي وأصبحت مميزًا بين أطفال الدار لنجاحي الدائم ودرجاتي المرتفعة، وبعد نجاحي في الثانوية أصبح عليَّ مغادرة الدار لتبدأ رحلة البحث عن ذاتي، التحقت بمعهد الموسيقا، كانت فترة مميزة جدًا.

"ترتفع الموسيقا أعلى، أصبح الرتم أسرع، حركات يديه الحرتين ترتفع وتهبط، ملأت الأجواء بالحركة والطاقة الحب، نعم إنه الحب"

تعرفت على "داليدا" في المعهد كانت فتاة مميزة بالنسبة لي، رأيت في عينيها الواسعتين أحلامي تتحقق، صوتها سيمفونية بديعة التركيب، رائحة عطرها ورود ورياحين، روحي تآلفت معها، المستقبل الذي أصبح بوجودها كجواد يجري أمامي ناحية غابات الضوء، أحببنا بعضنا كثيرًا، لكن القدر كان له طريق آخر.

تقدمت لها بعد تخرجي من المعهد، ولفقري رفض والدها، كان الرد صعبًا جدًّا، أشعرني بعجزي وضعفي وقتها.

"تأخذ الموسيقا منحنى هادئًا يحرك يده باتجاه الكمنجات لترتفع صوتها ويده الأخرى لتشيلو يأخذ أرضية التون، يخلق بداخل الفرح الحزن وينبع من الحزن النجاح"

ذات يوم وصلني جواب تعييني كمدرس أول بالمعهد، وذلك لحصولي على درجة الامتياز، وبقدر فرحتي كان حزني، كنت أتمنى أن تشاركني داليدا هذه اللحظات، وبالفعل بقيت مدرسًا لموسيقا الكلاسيك لمدة خمس سنوات، وأخذت أولى تحقيق ذاتي وأحلامي، ومنها أصبحت مديرًا للقسم بالمعهد.

"ترددات زمنية بين الالآت، لا نشاذ ولا توافق، يضفي على القلوب صوتًا دافئًا يعلن اقتراب النهاية، لكل قصة بداية، ولكن هل لكل قصة نهاية؟"

أصبح اسمي معروفًا وسط المجال الموسيقِي، سافرت الكثير والكثير من بلدان العالم، وأصبح المايسترو إيليا أيقونة الموسيقا الكلاسيك في العالم، وأصبحت صحف العالم تكتب عن أوركسترا إيليا.

"صوت البيانو يكتب النهاية ترافقه باقي الأصوات"

ينظر إيليا حوله ويقول في قرارة نفسه:

هل هي النهاية؟

وتقول الموسيقا: "نعم النهاية لبداية معزوفة جديدة بطلها إيليا جديد"

تمت...

❋ ❋ ❋

أذهب عائدًا

لعل وقفتي أمام الباب كادت أن تطول للأبد، لو لم أنطق بكلمة، أطرق الباب ثلاث طرقات... استقبلتني في المدخل بابتسامة متسائلة تسد بجسمها فرجة الباب الضيق صامتة في انتظاري أن أتحدث قلت:

- السلام عليكم.

فردت عليَّ السلام بتساؤل من عينيها الضيقتين.

- ممكن أدخل؟

اعتذرت في حرج وأفسحت أمامي الطريق، صرت أتوقع أمورًا كهذه؛ فلم أرتبك، وضعت حقيبتي بجوار الباب وجلست على أقرب مقاعد الصالون، لم أنحنِ حتى لخلع حذائي كما اعتدت فور دخولي.

تسألني:

- حضرتك...؟

- آه، أنا اسمي عمار، ضغطت على مخارج الحروف كأنني أؤكد الاسم.

- أهلًا وسهلًا، أنا منال.

ثم جلست في صمت تحدق في صورة على المنضدة بيننا بنظرة خاوية، فيما تتفحصه جاهدة ليبدو طبيعيًّا، عيناها تدوران بشكل مريب تارة، وعشوائي تارة أخرى وأحاول أن اظهر آداب الضيوف ونظراتهم... الحذاء يؤلم قدمي قليلًا، لكن أحاول أن أتجاهل هذا الألم وأركز فقط في جلستي، رفعت رأسها حولي تسألني:

- حضرتك من الضيوف مش كدا؟

- انتِ مستنية ضيوف النهاردا؟

- آه ضيوف على العشا، بس لسَّا ما حدش منهم جه غير حضرتك، أكيد فيه حاجة منعتهم.

نظرت إلى ثيابها، ترتدي فستانًا من الساتان الأسود وشالًا مشغولًا بنقوشات وردية اللون، ويلف حول كتفيها في رقة بالغة، فكرت ربما أنها تنتظر ضيوفًا بالفعل، لايهمني كثيرًا إن كانت تنتظر ضيوفًا أم لا؛ كل ما شغل بالي كم إن هذا الفستان دائمًا يظهر جمالها كجميلات السينما الإسبانية.

ثم نهضت فجأة وقالت:

- أنا هاعمل فنجان قهوة، أعمل لك معايا ولا تشرب عصير؟ عندي عصير (كرز) جاي لي من روسيا أظن إنه هيعجبك جدًّا.

ارتبكت لوهلة ثم قلت:

- طيب ممكن قهوة مظبوط؟

اتجهت للمطبخ وعينها كادت تلمس الأرض بحركة آلية.

نظرت نظرة عامة في أروقة الشقة، يبدو أنها أعادت ترتيب الأثاث بوضع مختلف أفضل من ذي قبل، نظرت بطرف عيني فلمحت صورة الزفاف التي تجمعنا معًا معلقة على حائط الممر الواصل إلى إحدى الغرف، وجوارها صورة طفل يتوسطنا يبدو على وجهه ابتسامة واضحة.

رجعت من المطبخ تحمل صينية مستديرة وفوقها فنجانان من القهوة، وضعتها على المنضدة وبدأت تحكي لي بعض الأحلام التي ترهقها الفترة الأخيرة، للحظة شعرت برغبة في أن أمد يدي لأخترق هذا الحاجز الذي يحول بين ذاكرتها وبيني، حاولت السيطرة على انفعالي.

رفعت فنجان قهوتي دفعة واحدة ونهضت واقفًا:

- أنا هاستأذن

- لسَّا بدري!

- ما علش كدا أحسن عشان خاطر تنامي.

نهضت في تسليم وقادتني إلى الباب وقالت بنبرة مجاملة:

- هتزورنا تاني، مش كدا؟

- إن شاء الله.

كانت تلوح لي مودعة بينما أهبط على السلم، قدَّر الأمر أن يحتاج إلى نصف ساعة حتى تغرق تمامًا في النوم، ثم أعود لأفتح الباب ولأنسل بجوارها، في هذا الوقت تذكرت مأساة تلك الحادثة التي أودت بحياة طفلنا وأفقدت زوجتي جزءًا من ذاكرتها وعدت للشقة من جديد كزوج وليس كضيف.

تمت...

❋ ❋ ❋

باب البحر

(العادة المتبعة عند المسلمين تجاه الأجانب في جميع أنحاء الشام هي أنه لا يسمح لأجنبي بدخول الشام راكبًا، فلا يجرؤ أجنبي على دخولها إلا مشيًا)

(نص من رحلات الرحالة البورغوندي
برتدانون دي لابروكير – 1433 –)

الظلام يفرش السماء صوت الصلاوت وأنين المرضى والأطفال يسقطون واحدًا تلو الآخر، دوار البحر أصبح شبحًا على مركب في نقطة مفقودة، لا أعرف تاريخ اليوم أو الوقت، أفقد وعيي وأعود مجددًا لأكتب فقط، لمن أكتب؟ هل سيفيد هذا عندما يحين اللقاء بيني وبينه؟!

من قليل أخبرنا قائد المركب أننا اقتربنا من المياه الإقليمية الإيطالية، لا أحد يصدقه، يقول هذا منذ يومين، مئتا شخص على المركب، الموت يتعرف على واحد كل دقيقة.

هربت بعيدًا عن الحرب، كان الجيش الوطني يطاردنا أنا وشباب غيري للتجنيد الإجباري، أصبحنا غير قادرين على الذهاب لأعمالنا، لذا قررت أن أركب البحر عسى أن أعيش بسلام بعدما فقدت عائلتي وفقدت دفء دمشق، نعم، هل تذكرون دمشق قبل الحرب؟ كانت قطعة من الياسمين، أتذكر دمشق التي تختزل كل النساء في حيائها وحين ترفع حاجبيها دهشة تخجل المدن من عينيها ويسترق الليل سمعه حين يغلبها البكاء.

دمشق الفقراء الذين يولدون على قناعة أن الفقر والكرامة والحرية يولدون معًا.

دمشق التي ترفض أن تموت كما يموت الجبناء، أنظر بعيدًا بعينين مثقلتين أرى مآذن الجامع الأموي، وأسمع أجراس كنيسة الزيتون.

أسأل نفسي، هل هربت من الموت بحثًا عن طريقة أخرى في الموت؟

هل هربت من قذائف المسلحين على بيتنا في (باب توما) للموت وحيدًا في عرض البحر؟

كل ما أتذكر أني بحثت عن طريقة للخروج من سوريا إلى أوروبا، وبعد مراقبتي لطرق الدخول اكتشفت أن أوروبا فتحت الباب الخلفي للاجئيين عن طريق إيطاليا، تواصلت مع أحدهم بعد خروجي من سوريا إلى مصر وتم نقلنا من ميناء الإسكندرية خروجًا من المياه الإقليمية، وصولًا إلى هذه النقطة، خمسة أيام ونحن هنا، فقدنا الطعام والمؤن، أصبح الموت فقط هو رفيق رحلتنا.

أنظر إليهم كم عانوا مثلي الحروب؟

الحروب هي من ستحاسب، ولكن من يصنع هذه الحروب؟

(سيرين) التي فقدت زوجها وهربت من السبي والذل!

(علي) يضم أطفاله ويبتسم لهم، حتى لبكائهم.

(يحيى) ووالده العجوز مريض الربو سيموت حتمًا بعد لحظات.

وغيرهم الكثير...

سمعت قائد المركب يتكلم في جهاز الثريا ويقول بصوت عالٍ:

- نعم نعم نحن هنا في هذه الإحداثيات.. ويقول أرقامًا لخطوط تخص موقعنا ويرد عليه المتكلم: أنتم في منطقة باب البحر، ولا أظن وجود مخرج غير التواصل مع مركب على نفس الخط..

أحاول أن أتمالك نفسي وأقوم وأخلع عني سترة البحر، أقف في منتصف المركب محدثًا القائد:

- انظر.. انظر هناك، أرى دمشق، أسمع أصوات الأذان، أرى بيتنا من هنا.

يا الله.. يا الله، نهايتي ستكون في دمشق الحمد لله..

تمت...

❋ ❋ ❋

أجروفوبيا

الهلع.. هل تعرف معنى هذه الكلمة جيدًا؟

لا أظن أنك تعرف الكثير عنها، تعالَ معي في جولة قصيرة لنقابل خوفًا من نوع آخر، لا يحتوي دماء أو أشباحًا أو زومبي يطارد الأحياء، الخوف هنا داخل رأسك!!

المكان:حديقة الساحر.

يوم مشمس دافئ، الناس تسير بخفة بالغة ودودين، الأطفال تجرى حولك كأنهم فراشات على ورد عباد الشمس.

جاء الساحر، الفقرة التى ينتظرها الكبير والصغير، تجمعوا من كل صوب وحدب، أصبحت العيون مترقبة بعض الألغاز في ورق الكوتشينة، أو يقوم الساحر بالطيران في الهواء والمشي على الماء متأثرًا بالساحر (مايكل أنجل)، وهذا أقصى حدود السحر لجمهور الحدائق العامة.

أنا لم أحب السحر والسحرة إطلاقًا، أعتقد أنه ضرب من الخيال، ولكن هذا اليوم تملكني الفضول لمشاهدة بعض الفقرات لكسر هذا

الملل المرفه في هذا الجو النقي، ومشاهدة شيء مختلف على عكس عادة الناس الواضحة هنا، في بعض الأحيان تقبل ببعض الخدع وتصديقها.

بداية الأمر كانت بعض الخدع الباردة، لكن من الواضح أنني فقط من يشعر بذلك، الناس يصفقون بحرارة مع حركات يده وظهور بعض الأوراق من العدم، يضع يده في حقيبة شخص من الواقفين وينظر بطريقة كوميدية ليخرج منها حمامات ملونة وسط ضحكات وتصفيق وفجأة وقف قائلًا:

اليوم جهزت لكم أقوى الألعاب السحرية في العالم، سأختار منكم الآن شخصًا ليشاركني تلك اللعبة.

الجميع ينتبه ويحاول أن يرفع يده ليختاره الساحر، لكن حدث ما لا يحمد عقباه، شاور لي بطريقة مسرحية كألعاب الجوكر القاتلة لأتقدم وهو يحوم كالذئب الضاحك حول ضحيته.

بالفعل تقدمت ولم أشعر وقتها برغبة الخوف أو الابتعاد، كل ما في الأمر أنني أردت كسر ذلك الملل، أحضر صندوقًا طوليًّا ومقسمًا لجزئين كبيرين، ضمه وفتح بابه من أعلى، أصبح مثل التابوت وشاور لكي أدخل فيه فقط أصبحت رأسي هي الجزء الوحيد المكشوف.

أنظر حولي، عيون مترقبة ما سيحدث...

أغلق الصندوق وأحضر سكينًا كبيرًا عريضًا لم أتمكن جيدًا من رؤية ما يفعله بالسكين، لكن نظرات الناس توحي بخوف رهيب لدرجة بعض المتفرجات ركضن من التجمع، وقلبي أصبح يدق ولكن لا أشعر بجزئي الأسفل تمامًا، وفجأة سمعت شهقات عالية نظرت ناحية الساحر لأرى جزئي الأسفل بجواري وقدمي تتحرك في النصف الثاني من الصندوق.

لم أستوعب ما حدث وقتها، أصرخ، أصرخ بكل قواي داخل الصندوق والناس حولي يضحكون ويصفقون والساحر يبادلهم التحية.

أما أنا فقدت وعيي وقتها لأفيق على أصوات الممرضات حولي يطمئنونني على صحتي، أنظر على رجلي لأجدها مكانها، أتحرك بشكل عادي، لكن من بعد هذه الحادثة أصابني هلع التجمعات، كلما رأيت تجمعات كبيرة من الناس أفقد السيطرة على جزئي الأسفل وكأنه ليس موجودًا.

تمت...

❋ ❋ ❋

الخادمة

"أوقات يصبح الاحتياج أشد أنواع العذاب، طرق بحثك المستمرة عن راحة الآخرين وقضاء حاجتهم وخصوصًا لو كانوا أولادك، قطعك المتفرقة في هذه الحياة"

منذ أن فارق زوجي الحياة أصحبت الدنيا ضيقة أمام عيني، لا أقول أننا خسرنا شيئًا، لكننا لم نكسب شيئًا غير طفلين هم زهرة حياتي ونورها، ذهب سندي إلى خالقه، كان مفعمًا بالأمل ومنشودًا ببريقها، كنَّا ننعم بمعيشة كريمة وحياة مرفهة، كان كل شيء يسير على ما يرام، بيت كبير وسيارة وخدم وحشم، أمورنا مستقرة، سافرنا لبلاد كثيرة وقتها، نأكل أفضل طعام، وأحسن ملبس واحتفالات ونزهات.

وفي يوم من الأيام أتذكره جيدًا، كانت لديَّ خادمة تعمل بصمت مستفز، لا تتكلم كثيرًا إلا عند السؤال، وجهها مليئ بالحزن.. حزن كئيب، لم أحبها من النظرة الأولى.

مع إن الخادمات كلما كنَّ هادئات كنَّ أفضل لنا!!

لكن هذه لم أفهمها، وطلبت منها مرارًا أن تبتسم وهي تقدم أي شيء لنا لكن كان ردها:

- لا شيء يستحق الابتسام من أجله يا سيدتي.

أخذت منها ذلك الانطباع بكآبة مقيتة، تعمل ليل نهارٍ كأنها ماكينة آلية، أتذكر أنني لم أرها تأكل حتى إلا مرات قليلة بالعدد، تعودت على ذلك الأمر وتقبلته في سبيل أنني لن أجد خادمة مثلها في ذلك العمر الصغير، وتعمل بكد ونشاط مقابل مبلغ ماليٍّ زهيد.

قررنا في نهاية السنة أن نحتفل بعيد زواجنا وسط الأهل والأقارب والأصدقاء، وبالفعل يوم الاحتفال كان علينا أن نظهر بشكل مثالي أمامهم، رتبت كل التفاصيل الدقيقة لإظهار الحفل بالشكل المناسب أمام الكل، فطلبت من هذه الخادمة أن تحاول استقبال ضيوف الحفل بوجه بشوش مرح دون تعنت ملامحها وظهور هذا البؤس.

كانت نصيحتي لها مختلفة هذه المرة، قررت أن تكون آخر نصيحة لتغيير هذا الطبع الغريب منها.

وبالفعل كانت أمور الحفل تسير على ما يرام، والناس سعداء ومبتهجون لسعادتنا، لكن لم يكتمل اليوم على خير، كانت تسير أمامي بخطوات ثابتة كأنها صنم لا تتكلم، لا تبتسم، ظننت أنها أصلًا لا ترى غير ما تقدمه من أطباق على السفرة.

تحول هدوئي وفرحي إلى حزن عارم وقررت أن أعنفها حتى لو أمام الناس، قمت ناحيتها وبكل شدة قلت لها:

لماذا لا تبتسمين يا ذات الوجه الخشبي أيتها المرأة الكئيبة؟

وظللت أرسم على وجهها ابتسامات، أشد وجهها لتضحك، فجأة انهارت في البكاء وظلت تصرخ في وجهي بشكل هيستيري حتى تجمع حولنا ضيوف الحفل فقالت بصراخ:

- لماذا تعامليننى هكذا؟

لايوجد ما أبتسم لأجله، هذه الدنيا الظالمة صعب العيش فيها، أترك أولادي دون طعام لأقدم لكم الطعام والشراب، أبكي كل يوم أمام صاحب البيت لعدم استطاعتي دفع الإيجار المتأخر علينا، هذه الحياة قاسية.. قاسية جدًّا، أنتم هنا تأكلون وتشربون كالحيوانات ولا تشعرون

بمعاناة غيركم، الأيام دواليك، لو وضعك الله في ظروفي أتمنى وقتها أن أرى وجهك يضحك.

ومن بعدها لم أرها ثانية، وبعد مرور سنوات قليلة أصبحنا في ضائقة مالية كبيرة وخسر زوجي كل شيء مما سبب له إحباط كبير ومات على إثر حزنه.

الآن عرفت جيدًا معنى حزنها، بحثت عن الكثير من العمل المتاح لكن دون جدوى حتى وجدت هذه الوظيفة التي أنا فيها الآن (خادمة).

تمت...

❋ ❋ ❋

ملاك الشابو

في قديم الأزل ملائكة عصت أمر الله، تضامنًا مع لوسيفر، مما سبب حربًا كبيرة بين الملائكة الصالحة برئاسة ميخائيل وبين الملائكة الساقطة برئاسة لوسيفر، ولكن بعد سقوط لوسيفر وأعوانه لم تنتهِ الحرب؛ بل عادت بشكل جديد مع البشر...

مدينة بترا أو "المدينة الوردية"؛ لما تتميز من تقدم في شتى أنواع العلوم، وأصبحت مقصدًا لحركة التطور والتقدم، مجتمع يزخر بأسباب الراحة والسعادة، شكل حياة نموذجي في احترام الدين والعقيدة، لا حروب، لا معارك؛ بل وفرة ومآدب عامرة، توزيع عادل للثروات، مما جعل الحياة بداخلها مثالية.

كانت مقصدًا للعلماء لتطوير أبحاثهم وتقاريرهم الثانوية، وفي يوم حضر مجموعة من العلماء لعمل أبحاث تخص المياه العذبة في المدينة لنهر يسمى (البيذخ).

– د.مريم هل أنت المسؤولة عن بعثة العلماء؟

د.مريم: نعم.

أعرفك بنفسي، د. طاهر، كيميائي، أعمل في منظمة طبية كبرى تخترع مادة جديدة تعمل على تطوير وظائف الكائنات الحيوية، وعندما علمت المنظمة بوجودك في بترا أرسلتني بهذا العرض لك.

د. مريم: جميل لا مانع لدي من العمل من أجل العلم، لكن ما هي مهمتي في هذا الأمر؟

د.طاهر: المنظمة تجد أن وضع هذه المادة في نهر البيذج هو أفضل اختبار لبدء هذه التجربة ولضمان نجاحها، هذه المادة اسمها (الشابو)، إنها طفرة في مجال البحث العلمي، وسيكتب التاريخ اسمك عندما تثبت التجربة نجاحها.

د. مريم: لكن كيف؟ وبأي منطق أجعل الناس يشربون المياه المحملة بهذه المادة؟!

وأنا لا أعرف نتائج هذه التجربة جيدًا.

د. طاهر: كما قلت لك من قبل، نحن نعمل على هذه التجربة منذ سنوات، وأعتقد أنه حان وقت هذا، تفضلي هذا الشيك سيرد على إجاباتك بشكل صحيح.

فكَّرت قليلًا قبل أن توافق على المجد والشهرة والمال، هذا كفيل بخوض هذه التجربة.

وبالفعل قامت د.مريم بوضع مادة (الشابو) في مجرى النهر حتى انتشرت وتوغلت في كل المدينة.

وفي صباح اليوم التالي.

لا.. لا لم يكن صباحًا.

لم ترَ مدينة (بترا) النهار مجددًا؛ تحولوا إلى مجتمع يعبد المال والنساء، نشبت الحروب وأصبح التطور العلمي فقط تطور الأسلحة ومعدات القتال، نبذ ديني وعنف ممنهج ضد بعضهم البعض، ونفوس تحمل الضغينة والكراهية.

أصبح مجتمع بترا المثالي مجتمعًا يسعى للحروب والنهب والسلب، أصابته لعنة (الشابو).

وفي الجزء الآخر من العالم د. طاهر يجلس مع لوسيفر والملائكة الساقطين يثني على عمله ويقول:

أصبحت اليوم يا طاهر ملاك الشابو المقدس.

تمت...

ابن مدد

تنظر على خطوط الفنجان وكأنها ترى مدنًا بعيدة، ترى بيوتًا وأخبارًا وأسرارًا لا يعرف عنها شيئًا سوى صاحب هذا الفنجان، تتنهد وتلقي بكتفيها الضعيفتين للأمام وتنظر في اللاشيء.

-بصي يا بنتي هتروحي عتبة جديدة، وجوزك ربنا هيكرمه بسفرية، هيجيب لك طقم الدهب اللي انتِ عايزاه، ليكِ أخت هتخلف وتجيب واد هتسميه محروس.

أتابع الحديث بتأمل، أشعر أن الوقت يتوقف عندما تنظر إلى الفنجان الذي لا يحوي سوى بعض الخطوط من بقايا قهوة شربها صاحبها على عجل في انتظار سماع ما يخفى عنه، أراقب حركات يدها الضعيفة والشامة الخضراء بين عينيها، جلبابها الأسود القديم وعطر المسك الفواح.

– ما تشوفي لي حاجة تاني يا شيخة فوزية، تكون مستخبية هنا ولا هنا.

– أشوف إيه يا بنتي؟ هو أنا باجيب من بيتنا! دا قدرك وبيترسم، ولو ليكِ مقسوم كل الرسم مش نافع.

– طب يا ستنا، أبو الولاد هيتجوز تاني ولا لأ؟ فيه واحدة بتلوف عليه وانا خايفة عليه منها.

-يا بنتي لو ما بطلتيش سؤال عن المكتوب اللي مالوش عندي رد هاكلمه واقول له يتجوز عليكِ، قومي يلا روحي شوفي ولادك مستنيينك، وما تنسيش تدي حفيدي النفحة بتاعته عشان الواد دا دعوته مقبولة.

أهرول إلى جدتي بعد الانتهاء وأُلقي بكلي بين كتفيها، تمسح بيدها فوق رأسي ليفتح العالم آفاقه أمامي.

– واد يا هادي، انت ابن مدد، اوعى تزَعَّل ربنا منك لما تكبر، قدر الناس مكتوب يا ابني، ومش بإيدينا نغيره، لكن ما تمشيش حد من قدامك غير وهو فرحان، طمن قلوب الناس يا ابني، قلبك يطمن، أنا واقفة من برَّا على قد روحي، روح الست العجوزة اللي قدامك، لكن

انت هتدخل جوَّا التفاصيل، هتشوف الناس زي ما انت شايفني بالظبط، استر يا ابني أعراض الناس، حب واوعى تكره.

ربنا هيكشف لك عشان تملا الدنيا حب، خليك زي الكشاف اللي تحت بيتنا بينور للناس، خليك دايمًا منور بالحب واوعى تنطفي.

تمت...

❋ ❋ ❋

فريد الساعي

– كل ما أطلبه منك أن تغوص معي في أعماق النفس البشرية.. اترك أثيرية نفسك واكتشف معي في السطور القادمة ماذا يحدث هنا.

أمرر يدي على الجدار للسلم الخشبي كأنها تريد أن تقول شيئًا ما، أو تعبر عن صرخات ما.

في نهاية الممر طرقة طويلة معلق على جانبيها لوحات ورسومات، لوحة لكائنات متوحشة طائرة تحمل قديسًا في السماء وتفتك به وتحتها مكتوب (عذاب القديس أنطوني–1488–).

وأخرى لجنود حرب يحملون سيوفهم ويدكون عظام الأبرياء في قسوة منمقة، وكأن اللوحة ستنفجر من القوة والموت، ومرفق تحتها أيضًا (آن لويس –1810–).

وغيرها من اللوحات التي تصور أشخاصًا معذبين عراة في الجحيم، المكان يوحي بغطرسة غير مفهومة، لا أعرف ما هي وظيفة صاحب البيت أو موهبته الفنية حتى يقتني هذه اللوحات!

وتفوح من رائحة جدران بيته الغرابة والغموض على حد سواء، كل ما أعرفه الآن أنني أحمل رسالة إليه يجب أن أوصلها له.

في نهاية الممر غرفة الرجل المنشود، فريد الساعي، دخلت ولكن تفاجأت برجل ممدد على الفراش والمرض يرقد بداخله، لم أرد إزعاجه بمجيئي المفاجئ، تجولت قليلًا بداخل الغرفة، مكتبة تحمل إرثًا لا بأس به من كتب الفلسفة والموسيقا والأدب والجيولوجيا وعلوم الجبر والرياضيات، كتب عن التاريخ وعلوم الفلك، واضح أنني في حضرة شخص عالم أو فنان.

- (ركوب الفالكيري)!

قالها ونظر ناحية مشغل الأسطوانات، قمت بتشغيلها، نظراته هادئة وصوته أجش، ليس على قدر جسده الذي تضاءل من المرض، قال:

- لم أعتقد أنني أستلم الرسالة قبل وصول لوحة القيامة، لكن على أي حال أحببت كثيرًا أعمال مايكل أنجيلو واستطرد قائلًا:

- هل أنت متزوج؟

قلت: لا.

- لماذا لم تتزوج؟ ألم تجد الحب بعد؟!

قلت وأنا على وجهي ابتسامة صغيرة:

- أظن أن الحب ليس له علاقة بالزواج، أعتقد أنني لم أقابل الفتاة المناسبة، بالتأكيد عندما أقابلها سأفكر مليًّا بهذا الأمر.

– لم أكن أتوقع منك هذه الإجابة.. المرأة يا صديقي ليست إلا وعاء للحمل، يترعرع فيه الجنس الأسمى، فقلب المرأة وحبها هو مكمن كل الشرور، فيما عدا هذا لا قيمة لها.

– ما هو قصدك بالجنس الأسمى؟

يهز رأسه قليلًا مع حركة الموسيقا وينظر إلى لوحة أعلى مكتبه ويقول:

– انظر، هذا هو الجنس الأسمى.

لوحة لصبي عارٍ مفتول العضلات ويقود حصانًا جامحًا، (بابلو بيكاسو– 1905).

ويكمل: ستقوم الطبيعة بضمان حقوق الأقوياء جيلًا بعد جيل، حتى نصل إلى الكائنات الأفضل.

حدثت نفسي، ماذا يقول؟! كيف لرجل بهذا الثراء وأيضًا المرض أن يفكر بهذه الطريقة عن الجنس البشري!!

– ولكن لو افترضنا هذا، ماذا سيكون مصير الضعفاء والمجهولين؟!

– الضعفاء ما هم إلا عبء كاهل على هذه الحياة، يجب أن يُمحَوا، الحياة مليئة بالفائضين عن اللزوم، وداخلها الفساد بسبب هذا الفائض.

- ولكن لو أصبح الجنس كله مثالي هل هذا سيمنع الحروب والخراب والدمار الذي سيحدث؟!

- نحن نعاقب الجُناة فقط، ولانعاقب من سمح لهم بفعل ذلك، إذا سادت القوة أصبح نقطة المطلق ومنها نأخذ القوانين التي تمنع كل هذا.

أنظر في ساعتي..

- أعتقد أن الوقت قد تأخر، يجب أن أسلمك الرسالة الآن، هل أنت جاهز؟

قال:

- نعم، لكن قبل ذلك أود أن أنصحك بالعزلة وهي شعور لا يعتمد على وجود أو غياب شخص، على العكس، هي وجود الأشخاص دون أن ينتزعوا عزلتك منك، أعتقد أني جاهز الآن.

واستلم مني الرسالة، نسي أن يحدثني عن إحساسه بالمرض وهو يفتك قواه!

تمت...

❋ ❋ ❋

ورود الشحات

يذهب لمحل الورود كل صباح، يعطي الكثير من النقود للبائع ويتجول بينها لينتقي وردة الكاميليا الرائعة ووردة النرجس وبعضًا من زهور الماغنوليا.

يقول له البائع: اليوم عندنا عرض رائع على مجموعة زهور الليك، هي مناسبة جدًّا، أظن أنها ستعجب حبيبتك.. فكر في نفسه، آه حبيبتي! هل هي حقًّا حبيبتي؟ كان لديه المشاعر تجاهها لكنه لم يبح، حتى لم يلمح لها على سبيل إلقاء الكلمات من بعيد أو قريب.

لكن آخر لقاء ترك الكثير من علامات الاستفهام بداخله؛ لأنه رآها تعبر الطريق أمام الشارع المجاور لمكان عمله، ظل يراقبها حتى صعدت إلى الطابق العلوي لمبنى به العديد من محلات الملابس الخاصة بالنساء، في هذه اللحظات تأمل ملامح وجهها وشك في بادئ الأمر أنها آسيوية، ليست مصرية، ملامحها توحي له بذلك.

النوع الذي يفضله من النساء الآسيويات، لدرجة أنه فكر في تعلم اللغة اليابانية أو الصينية، أو حتى الفيتنامية؛ حتى يعمل بمجال الترجمة

ويعطي له هذا القدر الكافي من التقرب، لعله في يوم ما يتزوج سيدة آسيوية، ويجلس طوال الليل ينثر لملامحها، شعر أمرًا غريبًا!!

لكن على كل حال، هذا ما كان يدور في باله الكثير منا، يحب أمورًا ليس لها مبررًا واضحًا.

وبعد وقت قليل رآها تخرج من باب العمارة ولكن هذه المرة برفقة رجل غريب، بدين، أصلع الرأس، وشكله يوحي أنه موظف نوعًا ما في مصلحة النقل العام، وقف أمامها وقبلها من وجنتيها وأعطى لها بعض الحقائب وذهب بعيدًا وهي تلتقط أنفاسها وترسم ابتسامة صفراء لا توحي بالرضا، ظن أن هذه فرصة جيدة للتعرف عليها وإعطائها باقة الورود، لم يكترث إن كان هذا البدين زوجها أو صديق والدها، أراد أن يذهب لها مهما كلَّفهُ الأمر.

بالفعل تقدم بضع خطوات على الرصيف في اتجاهها، كل تركيزه فيها، حتى لم يلتفت للعربات التي تصدر أصواتًا مفزعة حوله، كأنه يرتكب جرمًا ما، وعندما لاحظت اقترابه منها بسرعة بانت عليها ملامح الخوف، لكن كل هذا لم يشغل باله، وقف أمامها وقال هل تتزوجينني؟

أنت جميلة جدًّا...

وهم بإعطائها باقة الورود، لم تصدق ما يقول هذا الرجل، كل ما حدث وقتها أنها تركت الكلام دفعة واحدة وقالت:

– ألم تنظر لنفسك جيدًا أيها المتسول، أنت شحاذ مخبول، ليس لديك مرآة ترى فيها وجهك القذر وملابسك البالية أيها المريض، بالتأكيد قمت بسرقة باقة الورود من مكان ما، امشِ حالًا قبل أن أطلب لك الشرطة، اللعنة على من يترك أمثالك في الشوارع..

كانت كلماتها مثل الصاعقة عليه، سار قليلًا، نظر للورود في يديه وسأل نفسه، ألم تحب لونها؟! وعيناه تتلفتان حول الواقفين، وكل منهم يلعنه ويسبه، ومنهم من يتعاطف بداعي الاحتياج، وفجأة تراءى له انعكاس صورته في فاترينة محل الملابس، وجهه المشحم وملابسه المتسخة وشعره المنكوش، ابتسم وقال بصوت عالٍ أنا أجمل من ذلك البدين الأصلع الذي تعرفينه، هو يقدم لك القبلات، أما أنا أقدم لك ورد (الليك)...

تمت...

❋ ❋ ❋

لقاء في البيت الأزرق

(فريدا كاهلو)

لم يكن لقاؤنا محض صدفة أبدًا؛ كنت أحلم يوميًّا لمدة ستة أشهر بنظرات عينيها.

في بادئ الأمر كان مخيفًا أن أرى غموض نظراتها وحاجبيها المتصلين كأنهما بحر واسع مظلم، ولكن عندما دخلت البيت الأزرق رأيتها تجلس كالأميرات بفتسانها الواسع المزخرش بالورود كأنها ساحة سماوية تداعب بفرشاتها ظل الخطوط لتخلق حياة خلف الحياة.

تضع خطوطًا للظل، تروح وتجيء كفراشة تطير من زهرة إلى زهرة، تلقي تعويذة ساحرة على اللوحة البيضاء فتصير سحابًا.

لم أحب الرسم من صغري، ولا أعرف عنه الكثير، كنت أظنه هراء ومضعية للوقت وضربًا من الفوضى والجنون.

تملكني شعور غريب في حضرتها، معظم اللوحات ذاتية لوجهها بتعابير مفردة حالات مختلفة من الوحدة والألم، من الفرح والتيبس، أقترب بهدوء وأسألها:

– لماذا معظم لوحاتك ذاتية تحمل ملامح وجهك المكسيكي في أطوار وحالات مختلفة؟

قالت:

– أنا أرسم لأني وحيدة، وذاتي هي العنصر الذي أعرفه جيدًا وأستطيع رسمه.

زاد ردها فضولي أكثر عندما رأيت لوحة لها وهي بدون قدمين فقلت:

– وما هي الحالة التي عشتِها حتى رسمتِ نفسك بدون قدمين؟

– لمَ أحتاج قدمين ولديَّ أجنحة لأطير؟ أنا أرسم لأعطي ذاتي حقها في التحليق والحرية.

– أيضًا لاحظت ورودًا وأزهارًا مختلفة، دائمًا ما تضعين لمسة منها في لوحاتك، ما قصة الأزهار وتعدد الألوان فيها؟

– أرسم الأزهار لكي لا تموت، وطبيعة تعدد الألوان لعرض جمال ما تحمله بداخلها من عطر كلما تفتحت الوردة تعددت ألوانها مثل الإنسان كلما كبر ازداد ألمًا وحكمة.

– بالحديث عن حكمة تفتح الأزهار، ماذا عن فلسفة الألوان؟

– اللون هو مساحة عابرة في حياة اللوحة، إما تظل فيها إلى الفناء أو تفنى قبل أن تظل، أتعامل مع الألوان كأنها أحلام لشخص ما، لون الغضب، لون الغموض، لون الاحتياح لامرأة تعبر الطريق وتعاني من نزيف وإجهاض، هذا منطق الألوان.

دعني أسألك سؤالًا، هل توافقني الرأي أن قصص حياة اللوحات، أجزاؤها المضيئة والمظلمة، هي نموذج مصغر لحياة الإنسان؟

– أعتقد هذا، ودعيني أضيف علبة الألوان التي بجوارك، ويدك الرقيقة هي ولادة الإنسان من جديد...

تمت...

❋ ❋ ❋

محاكمة عابد بن بهلول

في مدينة حُرِّم فيها الحب، وجعلوا قوانين صارمة وعقوبات شديدة (أي شخص ثُبِتَ عليه الفعل) يُحْكم عليه بالرجم، مُدَّعين أن الحب حُرمَة ومضعفة للأرواح وعبث بالغرائز ومبعث للشهوات.

أحرقت كتب الشعر، طاردوا العشاق وكاتبي الرسائل في البلاد، وقاموا بقتلهم، عينوا رجالًا سموا أنفسهم (بصاصين) بين الناس لينقلوا الأخبار إلى الملك، وأصبح الفعل محرمًا في البلاد!!

وفي يوم ما تجمع الناس في ساحة المدينة تعلوهم نظرات الدهشة والتمعن لما يسمعوه من رجل يقف أعلى الدرج وسط الساحة يخطب فيهم قائلًا:

- أيها الناس، إن الله فرض على نفسه الحب، أحبوا دون مقابل، من دون شروط، أو حدود، إن الحب أعزكم الله هو تلك القوة الربانية في الأرض؛ ليجعلها خصبة معطاءة، هو نفخة الله في روح (آدم عليه

السلام) الحب يا إخوتي هو عطر الوجود الكوني، نندمج به مع المخلوقات حولنا، دونه نمرض ونذبل ونموت هباء في تلك الحياة، الملك تجرد من كل المشاعر الإنسانية، وعندما يتجرد الإنسان عن الأسمى من المشاعر يصبح كل شيء مجرد اكتمال كامل، انظروا إلى السماء كيف تتجلى على الأرض ببهائها، وتجود عليها بالشمس والقمر بالرياح والمطر...

تجمع الناس من كل صوب وحدب يستمعون مليًّا، تُثارشجونهم وترتقي أرواحهم لما نسوه من إحساس فيسأله واحدٌ منهم:

- على فرض أننا قمنا بثورة ضد الملك لرفع عقوبات الحب، وكان الموت هو نهايتنا، من سيراعي أبناءنا ويربيهم؟

- ومن قال إن تجريم الحب ليس موتًا؟ ومحاربة هذا الفعل جهادٌ في عقيدتنا البشرية، كل الأديان نادت بالحب، كل الرسالات السماوية مفادها الحب، ونحن نحرمه على أنفسنا! يا إخوتي الحلال بيِّن والحرام بيِّن، سيروا بنهج الحب وشريعته، عمروا بلادكم بها واتركوا الجفاء والتعنت.

ويسأله آخر بينهم:

– من أنت يا رجل؟ وكيف أتيت المدينة؟ نظن أنك غريب عن هنا، لم نرك من قبل؟

– أنا.. أنا عابد بن البهلول.

بهلول.. بهلول!!!

يرددون الاسم بينهم كأن أصابهم رعد من السماء..

– نعم نعم، لا تتعجبوا كثيرًا، أنا بن البهلول الذي كان يعيش بينكم، منكم من أحسن إليه وأكرمه، ومنكم من نفره وأهانه، ومنكم من ظن أنه درويش مجذوب في ساحات الذكر، البهلول الذي بسببه عرفتم ما هو الحب، أحب ابنة الملك، وظل يصدح شعرًا تحت غرفتها متيمًا هائمًا، عذبوه وطردوه خارج المدينة، وما إن عرفت ابنة الملك حتى هربت من القصر، حتى وجدته وعاشَ بعيدًا حتى أنجباني، وعندما عرف الملك مكانهما أمر رجاله بقتلهما وتعليق جثمانهما على باب المدينة، كنت في كنف الله ورعايته، حتى جاء اليوم الذي يظهر فيه الله الحق على عباده.

"هرج ومرج بين الصفوف وأصواتهم بدأت تعلو بالحديث، جرى عليه اثنان من رجال الملك، وقاموا بتكبيله، وسمعوا مناديًا يقول لقد جاء الملك.. جاء الملك".

أتى بفرسه وخيله والناس في حضرته راكعين، وعابد يداه مكبلتان، يقف بشموخ وقوة، نظر له الملك وعيناه تتقدان شررًا وقال:

- في الماضي فقدت ابنتي بسبب البهلول الذي سحرها بتعاويذه، واليوم تريد ثورة في ملكي!

- الملك لله وحده وعند الله لافرق بين عربي وأعجمي، ولا بين ملك أو بن بهلول، الكل أمام الله سواء، أما أنت قتلت وحرقت وشردت وحاربت سنة الله في أرضه، أنت ملكك فانٍ لامحالة، أما الله فملكه باقٍ.

يهتز الفرس من تحت أقدام الملك كأنه يفهم الحديث أيضًا، ينظر الناس إليه بكل فخر وإعجاب ويستطرد الملك قائلًا:

- اليوم ستكون نهايتك وعبرة للناس أجمعين، تصلب وترجم ثم يحرق جسدك، وهذا حكمي عليك.

وهو معلق على الصليب يحضرون الحجارة ويأمر الجندي برجمه، لكن ما حدث كان لا يصدق، قاموا بإلقاء الورود عليه، تحولت الساحة

إلى ورود من كل لون، ويهتفون باسمه، والملك والجنود في حالة ذعر مما يحدث، حمل الناس الحجارة وظلوا يطاردون الملك وجنوده في شوارع المدينة حتى قضوا عليهم بثورة عارمة.

قال عابد وهو معلق على صليبه وحوله الورود:

- نعم الحب، هو بداية الأشياء ونهايتها.

تمت...

شارع اللعنات

لم يعد هناك داع للبقاء في هذا الشارع.. قالها في نفسه وهو يسرع بخطواته المثقلة، تعب من البحث عن عمل في كل مكان، وتكرر له نفس الرد "عندما يوجد عمل سنرسل لك.. لا تنس القراءة والكتابة" خاطب نفسه قائلًا:

- يا الله ماذا يفعل رجل في الخمسين من عمره لا يمتلك غير هذا الجلباب؟

في هذا الشارع أشعر وكأني نقطة صدئة في هذا المكان الناس تنظر لي بازدراء واضح، أظن أن معهم الحق، هيئتي ليست على ما يرام، لكن ما باليد حيلة.

نظر أمامه وجد صورة ضخمة، تسمرت قدماه أمامها، صورة رجل أنيق يلبس حُلَّةً سوداء مكتوب تحتها:

(جاوب تكسب المليووون جنيه)

وحوله نقود كثيرة تكاد تقفز من الصورة وتسقط من بين يديه، أخذ يقرأ الكلمات بصوت متقطع وبصعوبة وقال في نفسه:

"لو أن معي هذه المليووون جنيه كنت اشتريت لزينب خاتمًا من الذهب مكافأة لها على تورم يديها من تنظيف المنازل باليومية، ولفتحي ابني عجلة سيطير بها من الفرح"

ثم أعطى ظهره للصورة وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

رأى أمامه لوحًا زجاجيًّا عريضًا شفافًا وخلفه رجل وامرأة يجلسان أمام طاولة مستديرة عليها كل أنواع الفاكهة، والعصير ينساب من العلب الشفافة.

إنه يحب عصير المانجو وخصوصًا في هذا الحر الشديد، يفكر بداخل نفسه:

"لو أن معي أيضًا المليون جنيه لأحضرت زينب إلى هذا المكان وشربنا الكثير والكثير من عصير المانجو"

نظر إلى أسفل رأى أقدامًا تذهب وتجيء ملمومة في أحذية أنيقة.. لمح قدميه القبيحتين داخل شبه حذاء فاستحى أن يسمي قدميه أقدامًا أشار إليهما وقال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم!

استدار إلى اليمين، طالعه زجاج عريض ممتد إلى مسافة كبيرة يشع من أسفله ضوء كهربي يغازل ضوء الشمس الساقط عليه، معروض به أنواع من الملابس التي ترتديها نساء من الجبس "لو لبست زينب إحداها

سيظهر جمالها الحقيقي" في جانب آخر ملابس زاهية ملونة للأطفال "لو لبس إحداها فتحي.. إنه أولى من هذه التماثيل الجبس، من سيشتري كل هذا؟ هل ستظل هذه المحلات باقية إلى أن أربح المليون جنيه؟ لا لا أنت تحلم!! اركض يا رجل من هذا الشارع الملعون حتى تصل بيتك.

اتجه يسارًا فطالعه إعلان مكتوب بلغة أجنبية لم يفهمها وبخط لاكع كبير باللغة العربية (الإنترنت مجانًا) فقال بصوت عال: سأشتري الإنترنت، وظل يجري ويجري إلى أن غاب في شوارع المدينة الواسعة.

تمت...

نمط

أعتقد إنه يوم مناسب للقتل!

أخذ حمَّامًا ساخنًا، أدندن لحنًا ألمانيًّا وأرقص عاريًا على طريقة الجيبسي، ورائحة "رغاوي صابون اللافندر" المنعش تغتال مسامات جلدي، أتذكر أنني قرأت الكثير عن عطر "اللافندر" إن لديه قدرة عالية على إنعاش وتنشيط القدرات العقلية، كونه يحقق الاسترخاء لأعصاب الدماغ، أتمنى أن أظل هكذا غارقًا في رائحته.

لكن عندي مهمة يجب إتمامها، دعك من هذه الترهات.

أرتدي ملابسي وأشعل آخر سيجارة، ولكن منذ متى وأنا أدخن؟ لا يهم.. طعم دخان "سجائر الدينفر" يذكرني بوالدي، كان يقول لي إن طعم الدخان أشبه بطعم يوم الراحة بعد أسبوع من التعب، كانت له فلسفته الخاصة.

يتحول شكل الدخان إلى طائر أو رجل عجوز، وربما قاتل أجير، كم جميل هذا!

أنظر في المرآة وأعدِّل وضع قبعتي ومسدسي الفضي مذخرًا برصاصات 9مم، ذهبية اللون، أحب جدًّا شكلها المميز، يقولون إن مسار الطلقة وسرعتها وطريقة اختراقها الهدف مرتبط بشكل مباشر بشكل الطلقة!

الوقت منتصف الليل، الهواء نقي، مطر خفيف على الطريق العام وسماء يبرز فيها بدر مكتمل، كل المؤشرات تنبئ بقتل هادئ ولذيذ، الشارع يعج بفتيات الليل وبائعي المخدرات والمشردين، أنظر في وجوههم، أسأل نفسي، من منكم فريستي؟ من منكم يحمل لي لذة الخوف وشعور الامتنان لقتله؟ تشاور لي فتاة على الرصيف المقابل، أتجاهلها تتمتم بكلمات غير مفهومة.. ما شكل الاحتياج الذي يجعل فتاة في سن المراهقة تقف لتعرض نفسها كسلعة للمارة؟

أتجاهل الفكرة وأستمر بالمشي ناحية كازينو (فبيانو) نعم إنه اسم والدي وأنا صاحب هذا الكازينو، الآن بعدما قُتل والدي أمام عيني وأنا صغير من رجل سكِّير غامض.

أجلس على البار وأحتسي كأسًا من نبيذ (التوسكانا) أفضل هذا النوع، أشعر بعد أول كأس منه كأني أمام التلال والقلاع في العصور الوسطى.

شخصٌ ما يأتي يجلس بجواري، أسمع أنفاسه الثقيلة وأشعر بحضوره المبهم، إنه هو الشخص المنشود، أقف، أتماسك جيدًا وأوجه مسدسي ناحيته، عجبًا! إنها مرآة تحمل نفس صورتي، كأنه أنا، لكن مع اختلاف أنه مستسلم، أرى في عينيه الخوف والدموع، ينظر لي ويتوسل ألَّا أقتله الليلة، ربما في وقت لاحق؛ لأن ابنه الصغير برفقته، أسمع بكاء طفله ورأسي يدور حولي، لا أهتم لما أرى، وجدت غايتي، أطلقت رصاصة لتتناثر ذرات المرآة حولي وتصدر صوتًا بغيضًا في أنحاء الكازينو المهجور إلا مني، وصوت الطفل داخل رأسي يئن وجعًا على فراق والده وهو غارق في دمه أمام عينيه..

تمت...

❋ ❋ ❋

الصائغ

الصيد...

يقولون: "الصيد يعلم الصبر وإنك كلما أتقنته جيدًا تعلمت أكثر" لكن رأيي مختلف... توجد في الحياة أمور أخرى تعلمك الصبر والحكمة، أن تكون ماهرًا في الحياة لا يتطلب منك إلا أن تصغي جيدًا لها.

يجلس على شاطئ المندرة وقت غروب شمس منتصف سبتمبر، يكسر بشفقها الممتد على سطح البحر صنارته الطويلة، مسترخيًا يتذكر ما مضى، يستحضر صورته وهو شاب في أواخر العشرينات من عمره بريق الشباب، يوم تأسيس شركته الأولى، حلمه الأول وحبه لفتاة انتظرته طويلًا.

ماهر: الشركة شبه بتخسر، الحل إيه؟ المقاولين كلهم سحبوا شغلهم ومش عارف حل.

- حلنا الوحيد إننا نصبر؛ عشان نقدر نتحمل أقل خسارة، إحنا قدمنا دراسة لمشروعاتنا ومنتظرين ممول، ودا لو ما توفرش في خلال الفترة الجاية هنضطر بكل أسف نقفل الشركة.

يتذكر كم قابل هذا الموقف شاب في مثل سنه، خسر كل شيء وأمامه فقط أسبوع لإعلان زواجه، كل ما فعله أن أحضر صنارته وجلس في نفس المكان يصطاد.

– أنا باشوفك كتير بتيجي تصطاد، أنت صياد؟

– لأ هواية.

– بس لايقة عليك، أنت اسمك إيه؟

– ماهر وحضرتك؟

– عمك مروان، مع إني قد جدك، بس ما يهمش، ناديني حتى ميرو هاكون مبسوط هههههه.

– أنا تشرفت جدًّا بمعرفتك.

– الشرف ليَّ يا ماهر، مش هتقول لي بقى ما لك؟

– ما فيش، كل الموضوع إني هاتجوز بعد أيام.

– ألف ألف مبروك، دي حاجة تفرحك مش تخليك زعلان وسرحان.

– المشكلة مش في كدا؛ الحكاية بس إني قفلت شركتي عشان خسرت وبقيت صايع زي ما حضرتك شايف، كل يوم آجي أصطاد، لا شُغلة ولا مشغلة.

- مممم طب قول لي بتفهم في الناس؟

- يعني باحاول، اشمعنى؟

- هاجيب لك شغل، بس الشرط الوحيد في (السي في) اللي هتقدمه لعمك ميرو إنك تكون بتفهم في الناس.

- والله حضرتك راجل سكر، أنا بقالي شهر ما ضحكتش.

- طيب يلا قوم بينا، اعتبر نفسك اتقبلت هههههه.

أول يوم أدخل فيه محل (الصائغ)

للمرة الأولى لم أصبر على فرصة؛ بل قبلت فورًا...

كم كانت سذاجة مني طول الانتظار، أتذكر كلمات عم مروان فترة تعليمي وكلامه عن (الذهب).

- الدهب يا ماهر أوضح من الناس، لونه ما بيتغيرش، تقدر تعرفه من ريحته، من وزنه، عشان كدا سألتك عن معرفتك بالناس، ما دام عرفت تتعامل معاهم هتعرف تتعامل مع الدهب، ربِّي ميزانك جواك واقرا طلب الزبون من عينه، اسمع قبل ما تتكلم، وحس قبل ما تاخد رد فعل، ما تكرهش حتة الدهب التقيلة اللي مش شغالة، اختلف معاها، غَيَّر من طريقة عرضها، لكن ما تفرطش فيها، هتقابلك أيام هتخسر وتكسب وتخسر وترجع تكسب، اِرضى بالقسمة بس اجتهد.

فقط كنت أنصت، أستمع كأني أشرب الكلمات وأرتوي بها، طَبَّقتُ كل حرف قاله لي، وأصبحت من أفضل البائعين في الصاغة، وعلى علاقة طيبة بأصحاب المحلات المجاورة، وبعد مرور سنة ونصف من العمل توفي عم (مروان)، ذلك الحكيم الذي علمني منطق -الذهب والناس-.

اعتمد الوَرَثَة عليَّ في إدارة المحل، وبعدها بفترة قليلة تعرض سوق الذهب لأكبر خسارة بعد الثورات الأخيرة، انخفضت الأسهم فجأة.

اجتمع أصحاب المحلات والتجار للبحث في هذه الخسارة الفادحة، ولكن كنت وقتها في رحلة صيد في نفس المكان، وعندما أبلغوني بتصفية المحلات كنت أقوم بتوضيب المحل وتجهيزه، تعجبوا كثيرًا لرد الفعل، وهذا لأني شعرت بتغير كبير الفترة الماضية، وأصبحت أعمل على أكبر نسبة مبيعات قبل فترة الثورة، حتى أصبح عندي المخزون المالي الكافي لشراء الذهب بأسعاره الطبيعية، ولذلك تجنبت الخسارة.

والآن أجلس على شاطئ المنتزه...

أصبحت صائغ الذهب الوحيد في شارع تجار الفضة.

تمت...

❋ ❋ ❋

سَنْدَر

– يا حورية، اتَّبعي طريق الجنائن، سأنتظرك هناك خلف شجرة الزيتون.

– لكن أخاف أن يرانا أحد يا سندر.

– لا تخافي يا حبيبتي، فالحب لا يعرف الخوف.

تسير حورية بين ممشى الأشجار كفراشة تسير بين طيات الوقت، رائحة الورد ولقاء الحبيب.

وهناك يقف سندر عبد مولاه (زنباع بن سلامة) وفي عينيه قوة الحب، يرى حورية جارية مولاه، ويرى معها أحلامه بالتحرر من قيود العبودية والزواج والأطفال والمستقبل، مدَّ يده إليها فتلفتت حولها خوفًا وخجلًا، فبادلته على استحياء، وكم هو جميل حياء الفراشات، اقترب منها وضمها لصدره كأنه يضم العالم أجمع.

– أُحبك يا حورية مثلما أَحَبَّ الظلام الليل، وامتزج الضوء بالنهار، أحبك بعيدًا عن مدن العبيد والأحرار، أتمناك من الله في الدنيا والجنة.

– ولكن يا سندر أخشى أن يعرف أحد أمرنا، ولو وصل هذا لمولانا ستكون نهايتنا التعذيب أو الموت، أنت تعرف أنهم لا يقبلون بزواج العبيد والجواري، هم متاع مشاع.

– كل ما أعرفه وأشعر به داخلي أنني لست عبدًا، أشعر عندما أراك أني حرٌّ، طائرٌ يحلق، نحن أيضًا لنا أرواح مثلهم، ولنا حق الحب، سأخبر سيدي، نعم، نعم سأخبره أنني أحب حورية وأريدها زوجة لي، وما المانع في ذلك؟

– لا تفعل هذا، ستعرض نفسك لعقاب كبير وكيف أعيش لو حدث لك شيء ما.

يقترب منها أكثر ويقبلها من رأسها ويهدئ من روعها ولكن حدث ما لم يحمد عقباه.

– ماذا تفعل أيها العبد الحقير؟ هل تتجرأ لفعل الفحش والبغاء في قصري، خذوه لأعلمه درسًا لن ينساه طيلة حياته.

يحاول أن يشرح له، لكن تكبيل الحراس له كان دون ذلك، أبعدوه وأخذوه في باحة القصر وعيناه لا تنظران إلا ناحية حورية التي اختفت وسط الجواري وقلبه ممزق لا يخاف إلا عليها.

ظل يجلد فيه هو والحراس حتى أصبح منهك القوى ينزف دمًا من جسده، ثم أمرهم (زنبع) أن (يدبجوه)..

ويخرم أنفه وأذنيه حتى يصبح عبرة للعبيد في القصر، اسودت الدنيا في عينيه، فقد النطق، وأصبح دمه في كل مكان، حملوه وألقوه في غرفته، ظل رفاقه يضمدون جراحه.

ومرت الأيام، وفي اليوم العاشر قام سندر من فراشه، قرر أن يغير كل شيء، ذهب للخليفة ليقص له ما حدث، وكيف لعبد أن يشتكي مولاه؟ وهو له الحق في كل شيء، لكن كان لسندر فرصة غيرت قانون العبودية.

وبالفعل سمح له الخليفة بالحديث ليقص له ما حدث.

– أعرف أنك والي الله في الأرض، كلمتك حق، وحكمك عدل، هل جزاء حب العبد لجارية أن تقطع أطرافه ويعذب ويهان؟

ألم يوصيكم الله على الأرواح، أنت حاكم الإسلام وسأقبل بحكمك، لماذا لا تحدنا قوانين؟ هل لأن الأسياد محاطون بالمال والسلطة؟ ولكن لنا الله...

أثارت كلماته وبلاغته روح الحاكم، وأمر بإرسال مكتوب إلى مولاه زنباع.

من والي معشر المسلمين في الأرض

من حاكم الإسلام إلى زنباع ومن مثله في ربوع الأرض، سمعت قصة عبد الله سندر وحبه للجارية، كدتم أن تقتلوه تعذيبًا وهو كباقي البشر له قلب ينبض ويحب..

أما بعد..

فقد قررت منح العبيد مكرمة لم تكن قبل سندر، ذلك إن من يؤذي جسد عبد فالعبد حر وليس لمالكه الحرية في تعذيبه أو قتله، وللعبد حق الحب والزواج أينما حل أو أراد، ولا تحملوهم ما لا يطيقون، وأطعموهم مما تأكلون، واكسوهم مما تلبسون، فإن رضيتم فأمسكوهم وإن كرهتم فبيعوا، ولا تعذبوا خلق الله، ومن مثَّل به أو حرق فهو حر، فهو مولى الله ومولى حاكم الإسلام في الأرض.

حرر سندر بحبه وتضحيته قانون العبيد، الحب كان سبيله فلا قوة بدون حب ولا حب بدون قوة، وأصبح سندر راعيهم ومحررهم وأصبحوا عبيدًا لله وحده في ساحات الحب والحرب.

تمت...

❋ ❋ ❋

ضيف المسابقة

الغرباء لهم طقوسهم الخاصة، منهم الباهت الذي لا تحب أن تعرف منه الكثير، ومنهم من هو غامض مثل تعويذة لامرأة عجوز على قمة جبل في الليل، أو كطفل يحمل سكينًا حادًّا ويجري ناحية الجنائن.

وأنت لا تعرف هل العجوز تُلقي تعاويذها في الليل لشفاء طفل صغير مريض يبكي في حضن أمه؟ أم لتقوم الحروب بين الشعوب والقبائل؟ وأيضًا تتساءل، هل ينوي الطفل الصغير قتل أحدٍ من رفاقه الذين يلعبون معه؟ أم ليقطع تفاحة سقطت من الشجرة على رأسه صدفة.

الضيوف منهم الخائفون دومًا فيما تقدمه لهم من طعام أو شراب، يشك في وجود مادة البوتولينوم في القهوة! أو تغير طعم العصير!

فيشك هل مزجت له مادة الريسين لتقتله على طريقة الأفلام الأمريكية؟

ومنهم الهادئ الذي يحمل بين جنبات صمته شاعرية شكسبير ونظرات كافكا وواقعية نجيب محفوظ.

عندما يطرق بابك ليلًا ضيفٌ ما لتفتح له وتأذن له بالدخول ويجري بينكم الحديث كالآتي:

- أود أن أعرفك بنفسي، أنا (ويليام)، نادني (ويلي) لا بأس بذلك، أقدم لك عرضًا رائعًا، مسابقة عبارة عن خمسة أسئلة، سيكون لك حق الإجابة في خلال يومين فقط، وسنقوم بتقييم إجاباتك، لو اقتنعنا بها سنقدم لك هدية رائعة، دعني لأكشفها لك الآن.

فترد قائلًا:

- أحببت هذا، أتمنى أن تكون الأسئلة سهلة إلى حد ما.

- هذا مرتبط برؤيتك الحقيقية لنفسك -فكر بغيرك داخلها ليس بالحقيقة كل شيء سهل هو سهل- روعة الألغاز في اكتشافها يا صديقي.

- إذن لنبدأ، تشوقت للأمر كثيرًا.

- السؤال الأول:

ما شعور الإنسان الذي لا مكان يذهب إليه؟ ليس بالضرورة مكان جغرافي حتى بين القلوب والأرواح.. اغتربت عنه الأماكن ليصبح منبوذًا بينها.

- السؤال الثاني:

ما الذنب الحقيقي لشخص حُكِم عليه بالموت قبل أن يموت وما السبب الذي جعله غارقًا في وحشته ينبش وجوه الناس ليرى وجهه الحقيقي؟

- السؤال الثالث:

ماذا لو كنا نفهم بعضنا من دون كلام؟ بمعنى أوضح أن نرى أفكارنا وتجاربنا كأنها معروضة على شاشة تلفاز أمامنا، هل لو أصبح جزء من مشاعرنا آليًّا، هل سيجعلنا نرى بعضنا بشكل أوضح؟

- السؤال الرابع:

مشاعرنا.. تخيل معي لو أن المشاعر كانت اختيارية ما بين الألم، والمعاناة، أو الأفراح والنجاحات، لكن شرط لو كان اختيارك الأول ستعيش سليم البنية والروح، ولو كان اختيارك الثاني ستمرض وتُجن ماذا تختار؟

- السؤال الخامس:

هل تؤمن بالخلود؟ أو كما قالوا عندما ترى الجنة في زهرة برية، وترى الدنيا في حبة رمل واحدة، هل هذا معناه أنك تعيش الخلود في ساعة زمن أو تكون قبضت على السرمدية بيمينك؟

دع الأمر يأخذ بعض الواقعية والخيال.

كل ما عليك أن تفكر...

معك يومين بعد هذه اللحظة، فكر جيدًا قبل إجاباتك، أو لا تفكر، نعم ساعات قليلة...

تمت...

❋ ❋ ❋

صندوق الدنيا

أنا قلبي مزيكا بمفاتيح
من لمسة يغني لك تفاريح
مع إني ما فطرتش وجعان
ومعذب ومتيم وجريح

- قرَّب.. قرَّب.. قرَّب لصندوق الدنيا.. صندوق المعجزات.. صندوق الحكايات.. يستمتع بيها أولاد وبنات.

هتعرفوا البدايات وتقرروا النهايات.

حكايتنا اليوم عن صاحب الصندوق اللي لف بلاد وبلاد، قابل الأغنيا والفقرا قبل المجرمين والزُهَّاد، سنين كتير من قصص وحكايات، اسمعوا مني الحكاية، اسمعوها من سكات.

"يمسك بعصا المانفيلة ويبدأ في تدويرها لتبدأ الحكاية".

- أحمل على ظهري صندوق الدنيا، صندوق من الخشب يحوي الكثير من القصص يستمتع بها الناس، من حكايا الأمير الوسيم هازم

الجيوش والبلياتشو المضحك والساحر الذي يخرج أرنبًا من قبعته ورجل الرجال يجر عربات بقبضة يد واحدة وغيرها من الحكايات.

يستمتعون بالخيال والمعجزات وأصبح الواقع مملًّا عقيمًا.

يا لفضول البشر!! وما أجمل أن أخلط لهم الخيال ببعض الكذب، بشيء صغير من الواقع، تأثرني نظرات الأطفال وإعجابهم بأبطال الحكايات، لم يشأ لي أن أستمتع مثلهم وأنا صغير ببعض الحكايا من رجل يحمل صندوقًا مثلي.

فقط رأيت الحقيقة...

أتذكر والدي حارس التحويلة، كان يقول لي إن الحياة مثل هذه التحويلة التي تنقل القطارات على قضبان أكثر أمانًا، وتحول مسارات الطريق لو أصابك حزن يومًا، قم بتحويله إلى الفرح والضحك.

كان والدي كثير التبسم، لم أره يومًا عبوثًا أو حزينًا، الحلوى لم تفارق جيبه، يعطي منها أصدقاءه وأقاربه، وللناس حوله، كنت أحبها بطعم الفراولة، لم أتذكر أنني أكلت فراولة قبل ذلك، ولكن هذه الحلوى كانت بمثابة شجرة فراولة.

وفي يوم ما وعلى غير طبيعة والدي، سمعته يكلم أمي وصوته يحمل الكثير من الهم: إن رجلين عرضَا عليه مبلغًا ماليًّا كبيرًا لافتعال حادثة

عن طريق التحويلة، وإنهم سيضمنون له تبرئته من هذه الحادثة، صعقت أمي عند سماع هذا وسألته: ماذا كان ردك؟

أجاب أنه رفض تمامًا.

وقال لهم: لو مت من الجوع أنا وأولادي ما اعملش حاجة زي كدا.

أتذكر أخي الكبير وهو يسرق الحلوى من جيب والدي وهو نائم ويقول لي: لو قُلت لابوك هاضربك، ومش هاديك منها، سامع؟

وعندما يكتشف والدي يجمعنا ويقول لنا: تعرفوا اللي بيسرق حاجة من ورا حد بيحصل له إيه؟ ربنا بيزعل منه وبيخليه يتعب ويقعد في البيت ما يقدرش يلعب، ولما ياكل حلاوة ما يحسش بطعمها.

"تدور المانفيلا وتسير الحكاية لشاب حزين ينظر للمرآة، يضحك ويضحك دون عبث".

- بداخل كل الناس شيء مشترك واحد وهو الفضول لمعرفة النهاية، لكن بعد هذا العمر لم أعبأ أبدًا بالنهايات، أحببتها فقط لكي أجني بعض الملاليم من الناس والأطفال.

"يسرع المانفيلا بطريقة جنونية، يضحك بصوت عالٍ، تتحول ملامحه لساخر مهرج".

- ظننتم أن الحكاية انتهت! الأمر لم ينتهِ بعد.

هنا حارس التحويلة وافق على عرض الرجلين بعد إلحاح أمي وإقناعها له.

حارس التحويلة سرق أيضًا عهدة الخط من الحديد والمؤن، حارس التحويلة أصبح الجاني الوحيد لكل الجرائم التي ارتكبت من أعمال شغب في البلاد بسبب حوادث القطارات.

الفضيلة أصبحت مبهمة، والمثالية يغتالها الغموض، الحكايات تسالي مثل الدنيا.

عايزين تفهموا المغزى كسروا الصندوق معايَ.

يقوم بتكسير الصندوق والأطفال حوله يجرون ويضحكون في فرح عارم، أتعرفون لماذا؟

ليكتشفوا ما بداخله!!!

تمت...

❋ ❋ ❋

إجابة منتظرة

تقول لي المرسلة:

أنا اسمي "ع" وأعاني من مشكلة تفاقمية الناس يرونها موهبة عظيمة، ولكني أعاني بحق يا سيدي، ذهب من عيني النوم وأصبحت شبحًا يمشي بين الناس، أجلس بالأيام في غرفتي وحيدة ليس عندي رغبة في التعايش مرة أخرى، غصة في قلبي، وعقلي أصبح يرى كل شيء.

من فترة قريبة توفيت والدتي لكنها لم تكن بذات القرب مثل أبي، كنت متعلقة بأبي أشد التعلق، قبل وفاتها بلحظات كنت المرافق لها في غرفة العناية وهي تلفظ أنفاسها الأخيرة جلست متعبة على كرسي بجوار سريرها وبدأت أشعر بثقل في رأسي حتى تلاشت الصورة من أمامي، حالة تملكتني بين الصحو والغفوة، ضوء بسيط ظهر ثم جاءت أمي بكامل عافيتها نظرت في عيني وقالت:

– تعرفي أنا باحبك قد إيه؟ باحبك جدًّا، لكن أنا كنت قاسية عليكِ حبتين، كنت حاسة إنك بتحبي باباكِ أكتر مني، ودا كان بيضايقني؛ لأني

كنت باحبك زيه بالظبط، على العموم أنا ماشية ومش عايزاكِ تزعلي مني أبدًا، بس هاجي لك تاني لو عُزتِ حاجة.

ثم ذهب ذلك الضوء وصوت الممرضات حولي أفاقني داخل الغرفة، أقف وكلي ذهول لما يحدث ويقول لي الدكتور المناوب:

– البقاء لله، شدي حيلك يا أستاذة.

وماتت أمي، ولكن لم يمر هذا الحلم مرور الكرام بالنسبة لي، بعد هذه الحادثة بشهر واحد تعب والدي كثيرًا، وكنت في أشد الحزن عليه، أنا من أقوم بالعناية به في تلك الفترة، وقبل وفاته بيومين حدث لي شيء غريب، نفس تلك الحالة، ثقل في رأسي أصابني بالنوم وجاءت أمي بنفس الهيئة وقالت لي:

– هو اتأخر عليَّ ليه؟ مش هو دا اللي اتفقنا عليه، قولي له إني لوحدي ومحتاجاه جنبي، مش عايزاه يتأخر عليَّ.

وقمت مرعوبة من ذلك الحلم، وبعدها بيومين توفي والدي، بدأت تظهر لي رؤى وأحلام وعلامات ورسائل وأشكال وأصوات تحدث أمام عيني لأشخاص غريبين وأصدقاء وأقارب، لا أعرف ماذا يحدث، بدأت أصاب بالرعب والهلع لما أراه ويتحقق، فقدت شهيتي في العيش وأعلنت رغبتي في الوحدة، أنا الآن بائسة جدًّا يا سيدي، أصبحت لا

آكل ولا أشرب، أصبحت هذيلة للغاية، حزينة لما أراه، ولا أدري كيف الهروب منه، أرجوك ساعدني، أعرف أن لك باعًا في هذا المجال، وأتمنى أن تساعدني قبل فوات الأوان، لا أريد كل هذا، فكرت كثيرًا في الانتحار دون فائدة.

وختمت رسالتها ببكاء -أسمع له صوتًا-.

نعم شعرت بقدر آلامها وحنقها العظيم

"على المسافرين المتجهين لمدينة الإسكندرية قطار رقم ٩٠٩ التواجد على رصيف ٦"

"أحتسي فنجان القهوة، أحاول أن أستجمع قواي، صداع يملأ رأسي ورؤية مشوشة، أقرأ الرسالة للمرة العاشرة، أشعر بمعاناتها، وحدتها القاتلة ومصيرها الباهت، شعورها بالوحدة والاختلاف، أتجه ناحية المقعد الخاص بي، أستعيد طاقتي وأمسك قلمي وأبدأ...

عزيزتي ع:

قد وصلتني رسالتك وقرأت معها حجم معاناتك التي تمرين بها، وأيضًا الخوف والرهبة، عندي لك الحل، ولكن دعينا نفكر قليلًا، هل حقًّا خلقنا للهروب؟ أم جعل الله لنا في المواجهة حياة أخرى؟

إجابتي لك أن تواجهي كل تلك المخاوف...

يأتي صوت من جانبي:

- لو سمحت الكرسي دا رقم كام؟

- دا رقم ١٠.

- نفس رقم الكرسي في التذكرة.

وتبتسم بخجل واضح، فتاة ثلاثينية تنبع من وجهها الحياة، تملأ أصداف البحر، يدها كأنها حورية بحرية تستعيد الكرسي الخاص بها بجواري وأرجع للكتابة.

"معرفة السبب هو الحل الرئيسي للمشكلة، أظن أن هروبك الداخلي سيصعب علينا الأمر كثيرًا ولكن..." تسأل مرة أخرى:

- هو انت بتكتب قصص؟... أرد بهدوء تام:

- لأ رسائل؟

- يااااه رسائل، تعرف أنا دايمًا رسايلي ما بتوصلش.

بدأ الحزن يخيم على صوتها وكأنه أحجية ليس لها حل.

تركت ما بيدي، وبدأت أركز في كلماتها..

- الأمل، طول ما الأمل بيتولد بيتوجد الحل، عارف عمرها ما كانت الهدايا الكبيرة ولا المفاجآت اللي بتسعدني، الحياة مليانة مشاكل

بس اللي بيحليها المفاجآت الصغيرة، زي كلمة حلوة، دعوة في وقتها، وردة من حد باحبه، حاجات عبيطة بس بتدي أمل وتحلي الدنيا، ليه لأ؟

"أسمع هذه الكلمات، أترك رسالتي جانبًا وأكتب من جديد:

حلك يا عزيزتي بسلاحين، المواجهة والأمل"..

تمت...

❋ ❋ ❋

البرزخ

غرفة مظلمة، خيط نور يتسلل عبر فراغات النافذة، أمد يدي إليه، أحاول أن أتنفس ضوءًا، صوت خافت بجواري أنظر ناحيته، رجل يجلس بكل ثقة وهدوء أحاول أن أستجمع ملامح وجهه.

– من أنت، ومن أنا، وماذا يحدث هنا؟

– أرجوك لا ترهق نفسك بالأسئلة، من الأفضل أن ترهقها بالإجابات، أنا هنا لأمر آخر؛ لأصف لك كيف هو الحال في الخارج، عندما تخرج من هذا الباب ستجد كل النعيم، وتجد أيضًا إجاباتك، لكني أنصحك أن تظل هنا وترى هذا المكان بشكل مختلف.

– أرى!! ماذا أرى؟ عتمة وظلامًا ومرضًا وجوعًا، أشعر أن بطني تؤلمني من قلة الطعام.

يبتسم الرجل ويخرج من جيبه ملعقة فضية لامعة، وأمامه طبق يأكل منه:

-أنا أريد أن أخرج من هنا.

– من قال لك إن الطعام هو كل شيء؟ إذا خرجت من هنا ستأكل وتشرب وتتزين بالذهب والماس، وتشم أطيب العطور وأنقاها، في الخارج حدائق ومرتفعات، جبال خضراء تثير في نفسك طمأنينة وراحة أبدية، أنهار من لبن وعسل وأشجار،أعتقد أن ما أراه هنا أراه هناك.

– هل أنت مجنون؟ هل تقارن هذه الظلمة الموحشة بما تحدثني عنه من نعيم في الخارج؟

– وما معنى الجنون من وجهة نظرك؟ هل تعتقد أن الجنون فيما نراه من أشياء؟ أم في شعورنا من ناحيته؟

– أنا ليس عندي وقت لهذه المهاترات، سأخرج من هذا، هممت بالقيام، لكن الغريب في الأمر أني قمت بكل سهولة، توجهت ناحية الباب فنظر لي الرجل وهو يكمل طعامه بكل هدوء..

– هذا الباب له مفتاح واحد فقط وهو معي، الآن سأعطيه لك إن أردت، لكن تذكر ما قلته "في الخارج نعيم مثل هنا تمامًا" لكن إن خرجت لن تعود مجددًا، وإذا سألتني عن رأيي الشخصي أختار لك أن تظل هنا.

- أعتقد أني أعرف ماذا أريد، الآن أعطني المفتاح.

أخرج من جيبه منديلًا ومسح آثار الطعام من على الملعقة.

- خذ مفتاح الباب وحاول ألا تضيعه.

بسرعة قمت بفتح الباب ودخل النور كاملًا، نظرت ورائي للرجل الجالس لم أجد شيئًا، فقط غرفة بيضاء ناصعة، أثاثها راق وبسيط وحاويات ورد على جوانبها.

هل هذه حقًّا غرفة الظلام والمرض؟

لا وقت للأسئلة الآن، أعتقد أني وجدت حريتي، لأذهب إلى الخارج وأكتشف هذا العالم الجميل.

توجهت ناحية النور، حدائق كبيرة واسعة، وطيور تغرد بموسيقا تذيب في النفس الحنين، مائدة كبيرة عليها كل أصناف الطعام والفاكهة والحلوى، جريت نحوها وأكلت مثل المجانين الذين ذهب عقلهم أمام الطعام، لم أشعر بشبع شهوتي، أصبحت لا حدود لها، جسدي يزداد فجأة، كلما أكلت يزداد، وقدمي تثقل، أحاول أن أتوقف، أبحث حولي عن مساعدة، لا أفهم ماذا يحدث، أتحرك بصعوبة ناحية الباب مرة أخرى ليساعدني هذا الرجل.. غريب!! الغرفة مغلقة كيف؟ أنا تركت

الباب خلفي مفتوحًا، ولكن أين المفتاح؟ أبحث حولي، أين نسيته، أطرق على الباب بكل قوتي..

- ساعدني.. ساعدني أرجوك افتح الباب، وكلما مر الوقت ازداد وزني أكثر.

يأتي الصوت من داخل الغرفة:

"قلت لك عندما تخرج ستجد كل إجاباتك، هنا أيضًا النور موجود، والطعام والشراب والأشجار، أصوات العصافير وكل الملاذ، لكن تغاضيت عنها، نظرت فقط برؤيتك التي ظننتها منطقية وحقيقية، حاولت أن أضفي لك شيئًا من الجنون لترى حقيقة الحقيقة، لكن كان هذا اختبارك.. والآن دعني أتشاور مع أصدقائي هنا عن إمكانية رجوعك، وإذا أجمعنا على هذا أعطيناك فرصة أخرى، ولكن في هذا الوقت ابحث جيدًا عن المفتاح حولك، لأن بدونه لن يُفتح باب الغرفة.

تمت...

❋ ❋ ❋

المبخراتي

نعتقد أن الحياة لحظات، نشعر بحقيقتنا، نرى فيها كل شيء، بين الواقع والخيال، الحقيقة والكذب خيط رفيع.

– عم سيد، عامل إيه يا راجل يا بركة؟ بقى لنا كتير مش بنشوفك ولا بتهل علينا ببخورك اللي ريحته حلوة!

– والله يا باشا السوق كان واقف اليومين اللي فاتوا دول زي ما انت عارف، الثورة والمظاهرات والقلق اللي في البلد خلى الناس خايفة تفتح محلاتها، ربنا يهدي الحال.

– لأ يا عم سيد ما تغيبش عننا تاني، وربنا كريم يا راجل يا طيب.

يحدث نفسه قائلًا: يااه يا دنيا يا اللي سيد تعب فيكِ، لولا وجود الناس الطيبة مش عارف الواحد كان حاله هيبقى إيه؟

تقاسيم وجهه وجلبابه البالي من أثر دخان "البخور"، شذرات الفحم المتطايرة، تَاركُ رزقه على الله، لا يفكر في شيء سوى أن يرسم على وجوه زبائنه ابتسامة، تعود له ببعض الجنيهات التي تساعده على العيش.

له حضور يشبه بخوره، خفيف وطيب، تَعرف على تجار السوق حتى الزبائن المترددين على المحلات، في ظل الأحداث السياسية الأخيرة قل وجود عم سيد خوفًا على حياته من الاشتباكات المستمرة في الشوارع ولا يَسلم منها المارة، مما أدى لغلق المحلات في أوقات متقدمة من النهار.

اعتاد أن يسمع الأحاديث اليومية التي تدار بين البائعين والزبائن، بين أصحاب المحلات وتجار الجملة، أحاديث الناس عن القديم والجديد، مشاعر الناس أصبحت معتادة واضحة له.

وفي صباح يوم ذهب ليشتري البخور من عطار بشارع الأزهر، ولسوء حظه كان المحل مغلقًا، فذهب لمحل آخر -دكان صغير- يقبع فيه رجل طاعن في السن، ذو شعر أبيض ولحية بيضاء ناصعة، يمشي ببطء وانحناء، من عطارين الحي القديم الذي مر عليهم الزمن في ذلك المكان، سأله عم سيد؟

- لو سمحت عايز كيس بخور هندي، ولبان دكر، وحبة بركة، وكيسين فحم.

سمع الرجل طلبه بعناية ثم ذهب ليحضره...

- حسابك كام يا حاج؟

- كدا الحساب خمسين جنيه.

لكن نظر له الرجل بتأمل شديد

وقال: انت شغال فين؟ في السوق ولا الوكالة؟

- لأ، أنا شغال في السوق، وأول مرة أشتري منك، باتعامل على طول مع عم مظهر، بس هو قافل النهار دا.

- أنا عندي بخور جاي من بلد بعيدة في إفريقيا، واحد حبيبي عطار كبير جابهولي وقال لي ما تديهوش غير لحد يكون شغال وبياكل بيه عيش، وانت شكلك راجل طيب، هاديك شوية تجربهم ولو عجبك تعالى خد منه تاني، دا حتى سعره أرخص من الهندي.

- ماشي يا حاج، السوق برضه بيحب الجديد، هو اسمه إيه النوع دا؟

- (تفاح الجن) اسمه تفاح الجن، دخانه خفيف ما بيتشافش وريحته حلوة زي التفاح.

أخذ (عم سيد) كيس البخور وذهب ليبدأ يومًا جديدًا وغريبًا.

يا هادي يا رب - صلوا على النبي - وصلاة النبي كلها مكسب.

وضع البخور الجديد على الفحم المشتعل وبدأ يهز المبخرة يمينًا يسارًا، ويحدث نفسه:

- تفاح الجن! سلام قولًا من رب رحيم، إيه الاسم الغريب دا؟ يا رب يطلع كويس ويعجب الزباين، أهو سعره قريب ورخيص برضه.

ثم ملأ دخان البخور المكان وأصبح سرابًا ليس له وجود، رائحة التفاح سحرها غريب ملأت المحل.

- يااه يا عم سيد، يا ريحة بخورك النهار دا! إيه يا بركة الجمال دا! دي كأنها ريحة من الجنة، قبل كدا ما كانش بخور؛ كان فحم قايد.

يسمع الكلمات من صاحب المحل ثم يرتاب قليلًا...

- يعني إيه قبل كدا كان فحم قايد؟! أُمال كنتو بتشكروا في ريحة البخور ليه؟

"فجأة وبكل ترقب، اثنان يقفان في منتصف المحل ويطعن واحدًا منهم الآخر في رقبته بسكين حاد، والآخر في وضع استسلام غريب، ويتمتم ببعض كلمات...

- أيوة أنا اللي قتلت أخوك بقصد.

رجل آخر يجلس بالقرب من ماكينة الأموال يقضم أصابعه بأسنانه.

- أنا سرقت ودا جزاء ذنبى.

ورجل يُقبل امرأة أمام أعين زوجها ويقول له

– ما انت جبرتني على طلاقها واتجوزتها، انت والنهار دا هتطلقها غصب عنك.

أطفال صغار يتحدثون عن قتلهم لقطة كانوا يربونها وكرههم للمدرسة والدراسة وحبهم لكرة القدم، وامرأة تشنق نفسها بعدما تسلقت على كرسي وربطت طرحتها في مروحة أعلى السقف وهى تقول:

– جوزي انتحر بسبب خيانتِي ودي جزاتي.

أشياء غريبة تحدث وهو ثابت في مكانه يملؤه الذهول خائفًا، كأنه يقرأ كتابًا مفتوحًا أمامه، وجميعهم محافظون على هدوئهم لدرجة أن المحل أصبح منفصلًا عن هذا العالم الخارجي، وهو ينظر للحدث تلو الآخر في صمت وهلع.

– يا الله إيه اللي بيحصل دا؟ أنا مش مصدق عيني، أنا حتى رجلي وقفت ومش قادر أتحرك.

ظل (عم سيد) واقفًا مكانه لا يقدر على الحركة كأن العالم حوله توقف في مشهد درامي، دماء، موت، قُبل، ضحكات أطفال هيستيرية، وفجأة يتجسد دخان المبخرة أمام (عم سيد) كأنه هو صورة أخرى، بنفس الشكل والملامح، ينظر له (سيد) ويحدثه:

- إيه دا انت مين؟

يرد عليه السراب: أنا أنت، حقيقتك الدفينة في داخلك، أنا ذنوبك وعقابك، حقيقتك وخيالك، حاضرك، ماضيك، مستقبلك.

ينظر له (عم سيد) وعيناه مفتوحتان كأنهما بئران في عالم اللاشيء لا يظهر فيهما سوى السواد.

- بس أنا ما عملتش ذنوب عشان أتعاقب عليها، وبالنسبة للحقيقة والخيال فمش فارقة، الحاضر بقى زي الماضي والمستقبل، لو أنا هاموت دلوقتي وانت هتاخد روحي أنا مش خايف.

- لا يوجد إنسان لا يخطئ، ولن أصارحك بحقيقة ذنبك؛ سأترك لك هذا الأمر، فقط اترك لي عقابك المناسب.

- أنا زي ما قُلت لك ما فيش حاجة عملتها وندمان عليها، لا سرقت ولا زنيت ولا قتلت ولا خنت صاحب.

- ولكن ما الذي جعلك رجلًا بسيطًا هكذا؟ لماذا لم تكن ناجحًا وغنيًّا وصاحب نفوذ واضح؟

ذنبك في حقيقتك، رضيت بأن تكون هكذا، لم تسعَ إلى الأفضل.

- أبويَ كان راجل بسيط، وأمي كانت ست لا حول لها ولا قوة، عندهم سبع أولاد وأنا منهم، الظروف والفقر هي اللي خلتني كدا.

– خلق الله لنا الأقدار وخلق لنا أيضًا السعي والاجتهاد والدعاء لتغيير مصيرها، أعطانا كل أسباب النجاح في الحياة، لكن أنت لم تسعَ إلى ذلك، فقط اكتفيت ورضيت بالواقع، لم تجاهد لتحقيق ما هو أكبر، لم تحلم يومًا ما.

– أنا فعلًا ما انكرش، كسلت ورضيت بالفقر، رضيت بيومي زي ما هو، وما عُزتش أكتر من إني ألاقي شوية جنيهات من شغلانة سهلة.

– اليوم عرفت ذنبك الحقيقي وعقابك الأمثل أن تظل طيلة حياتك مجرد (مبخراتي).

تمت...

❋ ❋ ❋

الفهرس

إهداء 5

المايسترو (معزوفة إيليا الأخيرة) 6

أذهب عائدًا 11

باب البحر 15

أجروفوبيا 19

الخادمة 22

ملاك الشابو 26

ابن مدد 29

فريد الساعي 32

ورود الشحات 36

لقاء في البيت الأزرق (فريدا كاهلو) 39

محاكمة عابد بن بهلول 42

شارع اللعنات 47

نمط 50

الصائغ 53

سَنْدَر 57

ضيف المسابقة 61

صندوق الدنيا 65

إجابة منتظرة 69

البرزخ 74

المبخراتي 78

❋ ❋ ❋